# مقامـات
# الموسيقة التونسية

ان كلمة مقام دخلت في الاصطلاح الموسيقى العربي للدلالة عى تركيز الجمل الموسيقية على مختلف درجات السلم الموسيقى حتى تحدث تأثير معينا على مؤديها ثم على سامعيه ولعلها قيست في ذلك على معناها الاصلي في اللغة العربية الذي هو موضوع القدام الو المنزلة وقد اشتهرت الكلمة الاخيرة في المغرب العربي للدلالة على الدرجة الصوتية
ثم تحولت كلمة مقام في اغلب البلاد العربية والاسلامية فصارت تستعمل للدلالة على مجموع السلالم الموسيقة التي وضعت لكل منها ابعاد مخصوصة بين مختلف درجاتها لتحدث التأثير المطلوب (وتجمع على مقامات ).

وفي مصر كل الفنانون يطلقون على هذا المعنى كلمة "نغمة" التي حولها بعضهم فصيرها تدل على الدرجة الصوتية أما في الجزية العربية بما فيها امارات الخليج واليمن فالكلمة المعروفة لهذا المعنى هي " صوت" وهذا هو التعبير القديم الوارد في كتبنا التراثية وفي المغرب العربي من برقة الى الاندلس فالكلمة المستعملة لهذا الغرض في الطبع فيقال مثلا "طبع الحسين" او "طبع الحجاز" ولعل استعمال الكلمة الاخيرة في اشارة الى ارتباط المقامات الموسيقية بطبائع الانسان الاربعة في التأثير كما بينته كتب العلوم الموسيقية مثل التي لابي يوسف يعقوب الكندي المتوفى سنة 252هـ 866 م وخاصة منها رسالته التي عنوانها " رسالة في ترتيب النغم الدالة على طبائع الاشخاص العالية وتشابه التاليف " ولابن المنجم المتوفى سنة 300هـ 912م ولابن النصر الفرابي المتوفى سنة 339 هـ 950م وخاصة منها كتابة الذي عنوانه "الموسيقى الكبير ط ثم التي للرئيس "علي بن سينا" المتوفي سنة 428 هـ 1037 م الذي ركز مبدأ التداوى بالموسيقى الذي وقع احياؤه في المدة الاخيرة في بلدان العالم ولابن زبله المتوفي سنة 440هـ 1048م ولصفي الدين الارموى الذي ادرك الدولة العباسية وعاش بعد سقوط بغداد وتوفي سنة 963 هـ 1294م ومن اشهر كتبه "الادوار " الذي ترجم للتركبه والفارسية والفرنسية واعتمد عليه اغلب من جاء بعده .. وغيرهم

وتعميما للفائدة نورد ما جاء في رسالة اخوان الصفاء في هذا الموضوع وهو قولهم :
"فاذا لفت النغمات في الاحان المشاكلة لها واستعملت تلك الالحان في اوقات الليل والنهار المضادة طبيعها طبيعتها طبيقة الامراض الغالبة والعلى العارضة سكنتها وكسرت حدتها وخففت على المريض الآمه لان الاشياء المتشاكلة في الطباع اذا كثرت واجتمعت قويت افعالها وظهرت تاثيراتها وغلبت اضدادها كما عرف الناس مثل ذلك في الحروب والخصومات وقد تبين بما ذكرنا من حكمة الحكماء الموسيقيين المسعملين لها في المارستانات (1) في الاوقات المضادة لطبيقة الامراض والاعراض والاعلال هم كلام اخوان الصفاء .
وقد كان بتونس وقف خاص لاقامه حفل موسيقي غنائي بالمارستان يرجع الى المرحومة الاميرة عزيزة عثمانة زوجة ملك تونس "حمودة باشا المرادي"
وقد الفت اشعار عديدة بالعربية والفارسية والتركية في ربط المقامات الموسيقية بطبائع الانسان نورد منها بعضا من التي للقاضي المرحوم الشيخ عبد الوحد الونشريسي المتوفى سنة 955هـ 1584 م

طبائع في عالم الكون اربع ففي مثلها اضرب للطبوع مجملا
فاولها السوداء والالرض طبعها وبالبرد ثم اليبس قد خصها الملا
وبلغم طبع الماء رطب وبارد وطبع الهواء والحر للدم قد تلا
وصفراء طبع النار يحرق حره لما فيه من يبس بتدبير ذي العلا
فنغمة صوت (الذيل ) ثم فروعه يحرك للسوداء خدها مرتلا

==========

1/ جمع مرستان وهو مستشفى الامراض العقلية .

وقد تجاوز بعضهم ذلك فجعل لكل وتر من اوتار الالآت الموسيقية ارتبطا معينا باحدى طبائع الانسان

ويقول في ذلك الشاعر العربي "كشاجك" المتوفي سنة 350 هـ 961 م

شدت فجلت اسماعنا بمخفف يحدثها عن سره وتحدثه

مشاكلة اوتاره في طباعها عناصرمنها الف الخلق محدثه

فللنار منها الزير (1) والارض بمه وللريح مثناه وللماء مثلثه

كل امرئ تشاتاقه منه نغمة على حسب الطبع الذي منه يبعثه

ومع تطور وسائل الاعلام المسعية البصرية وتسثيل الموصلات تغلبت كلمة "المقام" فصارت تستعمل للدلالة على السللام الموسيقية المعتمدة في التراث الموسيقي العربي التقليدي وسنتناولها بحول الله مع التعرض الى اسمائها المختلفة والمعروفة بتونس مع مقابتها بالتي تستعمل في مختلف الاقطار العربية والاسلامية وغيرها انشاء الله

وسنجعل لكل مقام سلمه المحلل مع الرجاء الرجوع الى شواهد من التراث الموسيقى التونسي الذي اتممنا جمعه وتدوينه ونشره بين سنتي 1959 و 1979 في نطاق وزارتي التربية المقومية والشؤون الثقافية الى مجموعة الاسفار المنجزة في ذلك

وقبل الدخول في تفاصيل الموضوع نتعرض الى قضية السلم الموسيقى العربي حيتى نزيل من الاذهان الغموض الذي سبح فيه الكثيرون من الباحثين واجروا فيه تجارب عديدة تتصف بالبدائية بالنسبة لعصرنا الحاضر لاستنادها الى مجرد السمع بالاذن وقد اظهرت الابحاث الحديثة عدم صحة ذلك لما يتعرض اليه الانسان من تكيف لسمعه حسب

==========

1/ اسماء اوتار العود هي الزير والبم والمثنى والمثلث

تاثره الخارجي الو العاطفي
وقد تاكد ذلك بالتجربة التي اجريت في المؤتمر الاول للموسقى العربية بالقاهرة حيث اعطيت درجة ال حسيلي الصوتية لمجموعة من عازفي القانوني عدلوا عليها الاوتار المقابلة لها من الائهم ثم طلب منهم تعديل (دوزنة) جميع اوتارتلكم الآلات ابتداء من الدرجة التي ضبطوها اولا وذا بالنتيجة تبز ان الدوزان (التعديل ) كان مختلف بينهم جميعا وخاصة فيما يتعلق بدرجة السيكاه امي نصف محفوضة ) ولذلك تم الاتفاق في هذا المؤتمر على جعل علامتين جدتين للعوارض الموسيقية لبيان رفع او خفض الصوت بربح الدرجة وقد نعت هذا الربع بكونه وهميا وهكذا بقيت المسالة غير مبتوت فيها شانها في ذلك شان الموسيقى الفارسية التي وضعت لذلك علامتين احدهما للخفض باقل من نصف الدرجة وتسمى كورون والاخرى لرفعها بنفس النسبة وتسمى "صورى"
وقد وضع المؤتمر الاول للموسيقى العربية المنعقد بالقاهرة سنة 1932 علامات خاصة لربع البعد الصوتي وهي للخفض بربع البعد للرفع بربع البعد
وفي سنة 1966 اجرينا بحثا علما لمختلف المقامات العربية بالمركز الموسيقى الامريكية بانترلوكن"بولاية "مشقن " اعتمدنا فيه على الجهاز الالكتروني لهذا المركز وهو نوع استروبكون لما استمل عليه من دقة تمكن من التعرف على ضبط الصوت وقياسه بنسبة تقسيم البعد الى مائة جزء بطريقة مرئية لا تدع محالا للشك وقد اسفرت النتيجة على اعادة النظر في اعمال المؤتمر المذكور وجعل علامات جديدة تستجيب لنتيجة البحث وهذه العلامات هي كالتي بعد ان وافقت عليه ندون علمية ضمت خبراء ممارسين للموسيقى من تونس ولبنان وتركيا وايران مع عميد كلية العلوم الموسيقية بجامعة "كلونيا" الالمانية الاستاذ الدكتور ماريومي شنيدر " في ندوة اقيمت لذلك بمعهد "قوت" ببيروت سنة 1967 .

للخفض

بنسبة 20%  بنسبة 20%

بنسبة 30%  بنسبة 30%

بنسبة 40%  بنسبة 40%

وقد اسفرت ابحاثنا من جهة اخرى على ان السماع (الموسيقي ) في الحضارة الاسلامية اصله واحد ولا يفترق بين الاقطار الا بالقدر الذي يختلف فيه اللهجات العربية ويتفرع الى اربع مدارس كبرى

أ مدرسة الجزيرة العربية وهي أصل الموسيقى العربية وقد تفاعلت مع كل من الموسيقى الهندية والموسيقى الزنجية المتاتية من الاتصال المتين الذي كان قائما مع الحبشة ومنقة زنجبار

ب– مدرسة الشرق الاوسط وتضم العراق بلاد فارس وجمهوريات اسيا الوسطى وهي تمثل تفاعل الموسيقى العربية مع الموسيقى الفارسية

ج– مدرسة الشرق الادنى وتضم مصر والشام وفلسطين والاردن ولبنان وتركيا وهي بطبيعة الحال تمثل تفاعل الموسيقى العربية بالموسيقى التركية وموسقى الروم

واخير مدرسة المغرب العربي والاندلس وتشمل تفاعل الموسيقى العربية مع الموسيقى الاسبانية الاوروبية وبطبيقة الحال فتونس تنتمي لهذه المدرسة كما سنر في التحلسل الاتي للمقامات واعتبار لذلك فمقامات الموسيقى التونسية تتفرع الى ثلاثة انواع :

أ– نوع افريقي زنجي الاصل وعليه مقام واحد يعرف باسم "رصد عبيدى لعله نسبة الى الزنوج ويسمى بالمغرب رصد كناوى نسبى الى مدينة كانو بنجيريا

ومن خاصيات هذا المقام لشتماله على خمس درجات عوض السبع درجات المعمول بها عاديا ويوجد هذا النوع من المقامات في افريقيا السوداء وف الشرق الاقصى وتوجد عليه بتونس نوبة (1) من التراث الموسيقى وهذا سلمه (2)

ب– النوع الثاني من المقامات التونسية هو الذي يرتبط بمقامات المدرسة الثالثة الانفة الذكر أي مدرسة الشرق الادنى وتتمي بتركيب سلمها من عقود ثلاثية الي ذات ثلاث درجات الو رباعية او خماسية ومنها :

1/ النوع الاول من مقام راست الذيل وهو يماثل مقام الراست الشرقي ومقام الاستهلالي المغربي ويتميز باشتماله على راست على كل من درجته الاصلية (  ) وعلى درجة النوى (  جواب (1) وعند الرجوع بلسلم يحول العقد الثاني الى نهاوند على النوى حسب السلم الاتي

2/ النوع الثاني من راست الذين وبتميز علن الاول بحفظ درجة سلمه الثالثة (مي) بنسبة 40% ورفع درجته الرابعة أحيانا – حسب السلم الاتي :

---

**1/ النوبة هي مجموعة من الموشحات والارجال والمعزوفات ملحنة على مقام معين على خمسة ايقاعات تقليدية**

**2/ يمكن الرجوع الى شواهد جميع المقامات الى مجموعة اسفار التراث الموسيقى التونسية التي اصدرها وزارا التربية القومية والشؤون الثقافية بين سنتي 1959 –1979**

**3/ كلمة قرار تدل على الصوت الخشن وكلمة جواب على الصوت الرقيق المرتفع في السلم**

**3**- المقام الثالث من هذا النوع هو "الماية " الذي يؤدي في الصباح الباكر وهو يقارن بمقام الراست الشرقي ولكنه يتميز بكثرة التوقف على الدرجة الثالة من سلمه "السيكاه" (مي" نصف مخفوضة ) وخفض درجته السابعةالعجم (سي مخفوضه) والنزول في سلمه بعقد "مزموم" على درجته (فا) مع امكانية النزول الى درجة العشيران (لاقرار) قبل القفلة وهذا سلمه

ومن موشحاته البطايحي "الموالي"

السحاب في السحر  والليل ولي بطولو

والصباح خالط على الاثر  طلت علينا خيولو

4- المقام الرابع من هذا النوع هو مقام الحسين ويقارن بمقام البياتي الشرقي من حيث ارتكازه على درجة الدوكاه (ري) وتركبه من عقد بياتي على درجته يليه عقد راست على النوى فعقد بياتي علي المحير (راي جواب) ويكون النزول في سلمه بعقد نهاوند على النوى حسب السلم الموالي

ولذا المقام عدة فروع نذكر منها الحسين اصل وهو يقار بالحسيني الشرقي من حيث جعل عقده الثاني بياتبي على الحسيني (لا) والحسين عجم الذي تكون درجته السابعة محفوضة في حاليت الصعود والنزول بالسلم وهو في ذلك يقارن بالعشاق التركي والحسين صبا الذي يتميز بكثرة التوقف على الدرجة الثالثة من سلمه (فا) والعجم الذي يبرز فيه عقد العجم

والنيرز الذي يكثر فيه جس درجة الراست

5- مقام رمل الماية وهو عبارة عن مقام الحسين مع اشتماله على الخصيات التالية كثرة استعمال عقد الجواب وهو في ذلك يقارن بمقام المحير الشرق وبنسبة في ايران الى الولي الصالح بابا طاهر وكثرة جس درجة سلمة السابعة (دو) والنزول بعقد مزموم على دجة (فا) والتركيز على درجة الحسين عند القفلة – ويؤدي هذا المقام في العشية قرب غروب الشمس ومما يغني عليه

| | |
|---|---|
| بالله يا عشيه | صبر قلب من يعشق |
| ما ين اضلعي | نيران الهواى تحرك |
| انا ادمعي | عن صحن الخدود تدفق |

6 المقام الخامس هو مقام الاصبعين الذي يقارن بمقان الحجاز الشرقي والحجاز الكبير المغربي الزيدان الجزائري في ارتكازه على درجة الدوكاء وتركبه من عقد حجاز على درجته يليه عقد راست على النوى فحجاز على المحير ويكون النزول في سلمه يعقد نهاوند على النوى حسب السلم الموالي

ومن فروع هذا المقام ما يعرف في تونس "بانقلاب الاصبعين" ويتميز بجعل عقده الثاني اصبعين على ورشة الحسين (لا) في حالة الصعود بالسلم

ومن فروعه ايضا مقام الرمل الذي تميز عن صلة بابراز الدرجة الخامصة (صول) من سلمه في حاله الصعود وتحاشيها عند النزول كالتاكيد على ابراز درجة الثانةي (مي) وجس العراق (سي قرار نصف محفوضة )عن القفلة .

7- ومن هذا النوع ايضا مقام السيكاه واصل الكلمة فارسي وهي مركبة من "سا" بمعنى ثلاثة وكاه بمعنى صوت وهس بهذا الاعتبار لدل على المقام الذي يرتكز على الدرجلة الثالثة من السلم الموسيقى الي (مي المخفوضه بنسبة 30%) ويشتمل هذا المقام على عقد سيكاه على درجته يليه عقد ثان ذي ثالث حالات :اما راست على النوى –الو نهاوند على نفس الدرجة الو حجاز على نفس الدرجة اليضا قعقد راست على الكردان وسيكاه في الجواب ويقارن هذا المقام بالسياكاه الو المايه الو الهزم في الشرقين الدن والاوسط وهذا سلمه

8- مقام المحير عراق فقد كان يغلب عليه الطابع الشعبي ولكنه اخذ الطابع التقليدي بعد ما لحنا عليه النوبة السابعة عشره من المالوف التي ادتها فرقة الممعهد الرشيدي سنة 1988 ويتركب هذاالمقام من عقد راست على النوى وقعد بياتي على المحير وتميز بعدم استكمال الديوان في سلمه بحيث يتوقف عن دالدرجة السابعة منه وعليه الاغاني الشعبية التي تبرز الفرحة بالزفاف والختان وفيما يلي سلمه

9- مقام المحير سيكاه ويقارن بالنهاوند الشرقي والبوسلك التركي وهي يتكون من عقد نهاوند على النوى يليه عقد الكردى على المحير يمكن الن يتحول الى حجاز على نفس الدرجة ويمكن الن يترصع بخف درجة سلمه الخامسة احيانا .

ولهذا المقام طابع شعبي يبرز الاغاني العاطفية وقد اصبح تقليديا بعد ما لحنا عليه النوبة الثامنة عشر (1) وفيما يلي سلمه

يلاحظ بالنسبة للمقامين الاخيرين انه عند ما تؤديهما نسوه يحلو مركزهما الى الدوكاه (راي) عوض النوى (صول)

ج 9 النوع الثالث من مقامات الموسيقى التونسية هو الذي فيه النوعان الاول والثاني معا بحيث نجد فيه العقود مع نوعية السلم الخماسي في آن واحد وهذه تبرز بكثرة تحاشي بعض الدرجات واللوقوف عند درجات اخرى في العزف والغناء

1- ومن اشهر هذه المقامات مقام الذيل وعتبارا لغزارة ما انتجه عليه من التراث فقد اشتهر عليه المثل المعروف (اذا طوال عليك الليل عليك بنوبة الذيل ) وهو يركزعلى درجة الراست (دو) ويكون من عقد ذيل يتميز بخفض درحته الثالثة بنسبة 20% من البعد يليه عقد راست على النوى ويتميز بكثرة النزول بسلمه الى درجة السيكاه (صول قرار ) في ذلك يشترك مع مقام الرهاوى التركي وتبرز صفته الخماسية بكثرة التوقف على الدرجة الثانةي من سلمه وكثة تحشي درجتيه الرابعة (فا) والخامسة (سي) وفيما يلي سلمه

---

1/ يشتمل المالوف التونسي على ثلاثة عشرة نوبة وقد

زاد الشيخ خميس الترنان النوبة الرابعة عشرة سنة 1957 وزدنا بعده ابرعنوبات في مقات العجم عشيران والزنكولاه والمحير عراق والمحير سكاه

ولمقام الذيل ثلاث مجنبات اولاها تقتضي خفض درجة سلمه الثانية عند القفلة ويقابل في ذلك مقام "مارف" الهندي .والثانية تقتضي جعل العقد الثاني من سلمه حجاز على النوى" وهو في ذلك يقالبل مقام السوزناك الشرقي والثالثة تجعل للذيل عقد حجاز علىدرجة السيكاه (صول قرار) تحت المقر

2/ المقام الثاني من هذا النوع هو مقام العراق وقد عبر عنه البارون ديرلا نجي في كتابه عن الموسيقى العربية بالعراق سلطان

ويرتكز هذا المقام على درجة الدركاه (رى) ويشترك مع مقام الذيل في جميع خاصياته ولا يفترق عنه الا من حيث ارتكازه وتحاشيه للدرجتين الثانية (مي) والثالثة (فا ) عند القفلة حسب السلم الموالي :

وللعراق نوع يتميز بنزوله في الارتكاز على درجة السيكاه وقد وجدنا عليه بطايحي من النوبة طالعه مذهبي ف الخلاعه وعشقتي للساقي ) والاغنية الشعبية الت تتغنى بجنان المشير الصادق باى الجابية والبير والناعوره – وسانية المشير المشهوره )

ويوجد نوع اخر لهذا المقام يرتكز على درجة العراق (سي نصف محفوضه قرار ) هما ينطبق تمام الانطباق على مقام العراق الشرقي مع تخليه عن الخاصيات التي ذكرناها ونذكر من شواهده بطايحي قل للذي بالبعد والهجر جازانا .

3– مقام النوى ويقابله في المغرب "الحجاز المشرقي "ويتشائم الفنانون من عزف نوبة كاملة منه ولذلك لم تسجل هذه النوبة لا فرقة الرشيدية ولا فرقة الاذاعة

ويتركب هذا المقام من عقد نهاوند على الدوكاه (رى) يليه عقد بياتي على الحسيني (لا) وهو في ذلك يقارن بالعشاق المصرى وبالنون العراقي ويبرز طابعه الخامسي بتحاشي الدرجه السادسة من سلمه عند النزول كما يتميز بجس درجة الراست (دو) عند القفلة وهذا سلمه

4– مقام المزموم ويعرف بالاندلس والبلدان المغاربية وقد وردتكاملة مزوم في اغلب المخطوطات المتعلقة بالموسيقى في هذه البلدان من ذلك قصيد للامير الصنهاجي تميم بن المغز بن بادريس حاكم افريقيا ما بين سنتي 454 –501 هـ ومنه

والطبل يخفق والمزامير حوله تتخالف العيدان في المزموم

ويرتكز هذا المقام على درجة الجهاركاه (فا) مع خفض درجة سلمه الرابعة (سي ) ويعرف في الجماهيرية اللبية "بالمحير " وهو لا يبعد كثيرا عن مقام الجهاركاه الشرقي ويبرز شكله الخماسي بكثرة تحاشي درجتي (سي ومي) من سلمه ويتشائم من تناوله الفنانون في المشرق وقد تسرب هذا التشاؤم الى تونس مع الملوك الحسنين وسبب هذا التشاؤم ان السلطان سلمي الثالث العثماني الذي تولى الحكم من سنة 1789 الى سنة 1807 قرر ان يفرد هذا المقام بتجويد القرآن الكريم وان لا تنتج عليه اغان ولا معزوات فامتثل الفنانون لهذا القرار وبعد زولا مفعول القرار بقي الاقتناع الشعبي بان كل من يتناوله بالانتاج الو الاداء تصيبه كارثة لا نه تطاول على مقام القران وتونس كان لها انتاج عليه واتى لها اللاجئون الاندلسيون بتراثهم الفني الملحن لعيه لكن بيات تونس تمسكو بالتشاؤم فاستقر الراى بان لاينتاوله طبال الباش الا يوم وفاة الملك وفيما يلي سلمه

5- مقام الاصبهان وساسه يدل على أصله الفارسي ويقابله العشاق المغربي وهي يرتكز على درجة اليكاه (صور قرار) ويشتمل على عقد راست على هذه الدرجة يليه عقد راست وحجاز على الدوكاه (رى) ثم عقد ثالث راست على النوى (صول) وفي النزول بالسلم يتحول العقد الثاني الى نهاوند على الدوكاه، ويبرز طابعه الخماسي بتحاشي الدرجة الثالثة من عقده الثاني فا في كثير من الحالات وقد الفينا عدة قطع من هذا المقام نتوقفعلىدرجة سلمه الخامس عوض الاولى وقد افرد اخواننا في المغرب هذا النوع واسمه رمل الذيل وهذا سلمه:

هذه هي مقامات الموسيقى التونسية التقليدية وقد ذكرها ابو عبد الله محمد الظريف المتوفى سنة 787 هـ 1385 م في قصيد طويل يعرف في تونس بناعورة الطبوع (أى المقامات) طالعه

من سلك دمعيى ومن تحييرا جفاني صغت الهوى حلبة من حير نيران

ومن نحولى ومن سقمي وشدة ما القاه من فرط اشواقي واشجاني

ومنها ما ذكر في اسماء الطبوع الفنية وهي المعروفة بالمقامات

جس (الرهاوى) وجر الذيل من طرب وتاه في (الرمل ) احيانا فاحياني

و(اصبهان) إذا بحكي (بصيكته ) محير الحال مزموما بهجران

فهاجني مابكى اهل العراق على فقد الحسين ففاضت منه اجفاني

يشكو (النوى) ودموع العين تسبقه حتى رثيت له شوق فابكاني

و (الرصد) اشعل في قلب العليل جوى و(مايه) احرقت قلبي واكناني

و(الاصبعين) غدا يحكي بصولته حتى اذاب فؤاد المدنف العاني

فقلت مابك صف لي مابتليت به ما بال جسمك مكلوم الحشا فان

هيجيت لي لوعة في القلب ساكنه خفض قليلا فقد هيجت احزاني الخ

---

1/ يقصد "السيكاه "